**جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة السنة الجامعية: 2023/2024**

**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**

**قسم التاريخ**

**السنة الأولى ماستر**

**التخصص: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية.**

**المقياس: الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر سنة 1830م.**

**الأستاذة: فتيحة صحراوي**

**المحاضرة الأولى: أوضاع إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1827م)**

**أولا : الأوضاع السياسية والعسكرية:**

**1- الأوضاع السياسية:**

إذا كـــان تـحــريــر وهـــران النهـــائي سنة 1792م، عــلــى يــد البـــاي مـحمــد الكبير قــد حقق القضاء عـلى المــطامــع الصليبية الاسبانية، التي استهدفــت تقويض دولة الإسلام في المغرب العربي عامة، وفي إيالة الجزائر خاصة، قد حقق لهذه الأخيرة وحدتها الترابية، فإن عوامل التدهور كانت تفعل فعلها أيضا منـذ الداي حســن بـاشا(1791-1798م)، لأن سياسة الـــدايـــات الذيــن تـعـاقبوا عــلى الحـكـم بـعـده لــم تـــرتكـــز على دعـــائـــم قـويــة لـتـثـبـيـت السلطة، وما رافقها من ظلم ووباء، وما صاحبها من مجاعة وضرائب، فكل ذلك كان إرهاصا بما ستعرفه الجزائر خلال العهد العثماني الأخير من تدهور في سائر الميادين.

إن الميزة البارزة التي ميزت العهود الأخيرة، هي الفوضى، وعدم الاستقرار. فبتأسيس نظام الدايات، وبالرغم من القضاء على ازدواجية الحكم من خلال إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان العثماني سنة 1710م، حيث عرف هذا النظام استقرارا لم يدم طويلا، حتى عاد الجند إلى العصيان والتمرد، فأصبحوا يعزلون ويعينون حسب هواهم، فكانت نهاية معـظـم الـحـكـام الاغتيال على يد الجند.

أما على مستوى البياليك، فهي الأخرى شهدت فوضى واضطرابات، فكلما كانت الأوضاع مضطربة في دار السلطان، انعكس ذلك سلبا على وضاع الأيالة عامة، فقد كثر عزل أو قتل البايات، لا سيما الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، وذلك في إطار الصدام والصراع الدائم على السلطة، فخاف الدايات مثلا من نفوذ بعض البايات، واستقلالهم بأقاليمهم عن السلطة المركزية، مثلما حدث للباي محمد الكبير(1779- 1792م)، والمكانة التي حضي بها بعد تحرير وهران، وكذا صالح باي وما عرفه بايلك قسنطينة في عهده من استـقـرار وتـقـدم، ورغـم ذلك قتل من طرف الإنكشارية بأمر من الداي في عام 1791م.

ولم يعد البايات يختارون بالمقاييس المعتادة كالحكمة، والكفاءة، والشجاعة، بل يختارون وفقا للمحسوبية، والصلات التي تربطهم برجال الأوجاق في العاصمة، ووفقا لما يدفعونه من رشوة لمن بيدهم الأمر، وفي هذا الشأن يقول حمدان خوجة: "...كان البايات في الفترة الأولى لا يعزلون إلا نادرا، ولكن في العقود الأخيرة، كثرت التغيرات، والاغتيالات في سلك البايات...".

والظاهرة الأخرى هي تفشي ظاهرة الرشوة، التي كانت تدفع لكبار المسؤولين في الحكم، فتعيين الموظفين في مناصبهم، من أعلى منصب في السلطة (الداي)، إلى أبسط موظف فيها، كانت توزع على الأقارب، أو من يدفع أكبر قدر من المال، وذهبت الخبرة، والكفاءة، والنزاهة مع مهب الريح؟

ومما زاد الطينة بلة، هو سياسة الحكام البعيدة عن العدل، يقول العنتري: "... الأتراك في بدء أمرهم عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحد، وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس، ويسفكون دمائهم، ويأخذون أموالهم بغير حق ...، ولم يزل ظلمهم يزداد حتى تم وجاوز الحد...".

هذا عن الوضع السياسي الداخلي ، فماذا عن الأوضاع الخارجية لأيالة الجزائر، ولا سيما علاقاتها مع الدول الأوربية؟

كانت بداية القرن الثامن عشر، بداية لظهور تكتـلات صليـبيـة مـن أجـل قضية الاسترقاق، والقضاء على الجهاد البحري، في دول شمال إفريقيا عامة، والجزائر خاصة، فعرفت أوربا سلسلة من المؤتمرات بشأن ذلك، نذكر منها:

**- مؤتمر فيينا:**

انعقد هذا المؤتمرسنة1814، أثير فيه موضوع القرصنة بالجزائر، وذلك انطلاقا مـــن فكـــرة سيدني سميث، الــذي اقترح على المؤتمرين ضـرورة قيـام أوربـــا بعمل جمـاعي ضـد البحرية الجزائريـة، ووضـع حــد للقرصنة التي تمارسها دول المغرب العربي.

انتهت أشغال المؤتمر بتحرير محضر في 9 جوان 1815، طرحـت من خلاله مشكلة دول المغرب العربي عامة، والجزائر خاصة، التي بات أمرها بالغ الأهمية يتوجب تنفيذه في أقرب وقت، وتحريم استرقاق المسحيين في دول شمال إفريقيا، وبالتالي ادعت الدول الأوروبية لنفسها حق حماية الأرقاء من"القرصنة"، لقد فتح مؤتمر فيينا الأبواب لعقد مؤتمرات أخرى، محورها يدور حول قضية الاسترقاق، وإلغاء القرصنة، إلا أن المجتمعون لم يتمكنوا من اتخاذ قرار موحد، فرأوا أن الباب العالي هو الحل الوحيد لإقناع دول شمال إفريقيا، التخلي عن القرصنة، إلا أن المسألة أخذت وقتا طويلا، فطرحت من جديد في 30 سبتمبر 1818 في مؤتمر إكس لاشابيل، أين بدا الخلاف والتنافس بين الدول الأوروبية يزداد وضوحا، وبعد أخذ ورد وتشاور، اتفقوا على فكرة القضاء على قوة المغاربة، ومن بينها الجزائر، اختتمت أشغال المؤتمر في 20 نوفمبر 1818، وخرجوا بالقرارات التالية:

- إرسال إنذار إلى دول شمال إفريقيا بالكف عن القرصنة والاسترقاق.

- استعمال القوة إذا استلزم الأمر ذلك.

بالإضافة إلى هذه المؤتمرات، شنت حملات عسكرية ضد إيالة الجزائر، كانت لها أثار مدمرة على البنية العسكرية، وكذا الاقتصادية، نذكر منها:

**- حملة الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1815:**

كانت بين أيالة الجزائر، والولايات المتحدة الأمريكية علاقات تعود إلى معاهدة 5 سبتمبر 1795، إلا أن هذه الأخيرة كانت تتماطل في تنفيذ هذه المعاهدة، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين البلدين، وبعد مؤتمر فيينا، استغلت أمريكا الوضع، ورفضت دفع الإتاوة للجزائر، فأرسلت أسطولا إلى حوض البحر المتوسط سنة 1815، لخيار هذه الأخيرة بين أمرين: إما الصلح، أو ضمان تجارة بلدها من جميع أنواع القرصنة، على اثر هذا الخلاف، والتوتر بين البلدين، فقدت الأيالة خيرة رجالها، وأشهر القبطان في ذلك الوقت، الريس حميدو، اثر صدام بين الأسطولين الجزائري والأمريكي.

**- الحملة الانجليزية- الهولندية (1816):**

بعد مؤتمر فيينا، كلف اللورد إيكسموث، بالذهاب إلى الدول المغاربة، ليطلب منها تحرير العبيد، إلا أنّ أيالة الجزائر رفضت طلبه هذا، فهدد بحرق المدينة، وفي يوم 26 من نفس السنة، عاد الأميرال إلى الجزائر، وبجانبه العمارة الهولندية، وبالرغم من تهيأ الأيالة لصد هذا الهجوم، إلا أنها فشلت في صده، فألحق الأسطول الإنجليزي في قصفه للمدينة خسائر فادحة، وأجبرت الداي عمر باشا، على توقيع معاهدة مذلة، نصت على تحرير الأرقاء، وإلغاء نظام الرق، ودفع تعويضات الحرب التي قدرت بخمسمائة آلف، وتقديم الاعتذار.

**2- الأوضاع العسكرية:**

**- اجتهادات الداي حسين في تنظيم الـجـيش:**

تولى الداي حسين الحكم وحالة الجيش تعكس ما آلت إليه البلاد من ضعف على المستويين الداخلي والخارجي، وما أثر سلبا على الحالة العسكرية حملة اللورد إكسموث الانجليزي سنة 1816م، فزادت الطينة بلة، والمرض علة، مما خلفته من أضرار جسيمة، لا سيما في الأسطول البحري. فكيف تعامل الداي مع هذا الوضع؟

وبما أن عملية التجنيد في الولايات العثمانية كانت لا تتم إلا بموافقة السلطان العثماني، الذي كان يصدر فرمانا للقيام بهذه العملية، كان لا بد على الداي، ووكلائه في الولايات العثمانية كسب ود، وصداقة المسؤولين العثمانيين، وذلك بإرسال لهم هدايا، إذن فالتجنيد كان يكلف خزينة الدولة أموالا باهظة؟

كان يتم تسجيل الجنود المتطوعين في قوائم، ويتم إيصالهم إلى الجزائر عن طريق السفن الجزائرية، أو سفن بلدان أخرى كفرنسا، وانجلترا... وغيرها،

والجداول التالية تبين: السنة، وعدد الجنود المتطوعين، ومكان تجنيدهم.

**سنة 1824م**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **السنة**  **(الهجري/ الميلادي)** | **عدد المجندين** | **المسؤول على إيصالهم** | **سفينة**  **النقل** | **البلد الذي جمعوا فيه** |
| **1240هـ/ 1824م**  - ربيع الثاني/ نوفمبر  -25صفر/20أكتوبر | 80  109 | حافظ إسماعيل باش داي  الحاج خليل أفندي | فرنسية  فرنسية | سميرن  سميرن |
| **المجموع** | **189** | **/** | **/** | **/** |

**سنة 1825م**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **السنة**  **(الهجري/ الميلادي)** | **عدد المجندين** | **المسؤول على إيصالهم** | **سفينة النقل** | **البلد**  **الذي جمعوا فيه** |
| **1240ه- 1825م**  -15 رمضان/4 ماي  -15 شوال/3جوان  -20ذي الحجة/7أوت  **1241هـ**  -6جمادى2/27جانفي  -7جمادى1/19ديسمبر  -7صفر/22سبتمبر | 35  01  150  91  136  115 | أرناووط أحمد أغا  ؟  الحاج أحمد أفندي  الحاج خليل أفندي  الحاج خليل أفندي  الحاج خليل أفندي | ؟  ؟  ؟  ؟  فرنسية  فرنسية | ؟  تونس  ؟  ؟  سميرن  أزمير |
| **المجموع** | **518** | **/** | **/** | **/** |

**سنة 1826م**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **السنة**  **(الهجري/ الميلادي)** | **عدد المجندين** | **المسؤول على إيصالهم** | **سفينة النقل** | **البلد الذي جمعوا فيه** |
| **1241-42هـ/ 1826م**  **1241هـ**  -21رجب/2مارس  -4رجب/13فيفري  -12ذوالقعدة/19جوان  -17ذوالحجة/24جويليه  -10ذوالقعدة/17جوان  **1242هـ**  -22محرم/27أوت  -1ربيع2/2نوفمبر  -1ربيع1/3أكتوبر | 76  55  40  02  (/)  87  157  148 | الحاج علي ريس  قدور بازون  ؟  ؟  ؟  الحاج أحمد أفندي  ؟  أحمد ألاي سردار وكيل في أزمير | ؟  ؟  هولندية  ؟  حربية؟  ؟  ؟  إنجليزية | ؟  ؟  ؟  تونس  ؟  ؟  ؟  أزمير |
| **المجموع** | **565** | **/** | **/** | **/** |

**سنة 1827م**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **السنة**  **(الهجري/ الميلادي)** | **عدد المجندين** | **المسؤول على إيصالهم** | **سفينة النقل** | **البلد الذي جمعوا فيه** |
| **1242هـ/ 1827م**  -11شعبان/9أفريل  -19شعبان/17أفريل  -13جمادة2/13جانفي  -13رجب/11فيفري  -15رجب/13فيفري | 87  157  50  (/)  60 | الحاج أحمد أفندي  ؟  ؟  ؟  بابا علي | ؟  ؟  ؟  ؟  ؟ | ؟  سميرن  أزمير  أزمير  أزمير |
| **المجموع** | **354** | **/** | **/** | **/** |

**سنة 1829م**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **السنة**  **(الهجري/ الميلادي)** | **عدد المجندين** | **المسؤول على إيصالهم** | **سفينة النقل** | **البلد الذي جمعوا فيه** |
| **1244-45هـ/ 1829م**  **1244هـ**  -21ذوالحجة/25جوان  **1245هـ**  -21محرم/24جويلية  -21ربيع1/21سبتمبر  -1رجب/27ديسمبر  -24جمادة2/22ديسمبر  -6ربيع2/6أكتوبر  -15جمادة1/13نزفمبر | 06  05  07  25  (/)  03  24 | محمد المفتي  أوزون أحمد  صهر الخزناجي  إبراهيم خوجي  ؟  الحاج علي  ؟ | مصرية  ؟  ؟  ؟  ؟  مصرية | الإسكندرية  تونس  ؟  ؟  ؟  الإسكندرية  الإسكندرية |
| **المجموع** | **64** | **/** | **/** | **/** |

**سنة 1830م**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| السنة  (الهجري/ الميلادي) | عدد المجندين | المسؤول على إيصالهم | سفينة النقل | البلد الذي جمعوا فيه |
| **1245هـ/ 1830م**  -27ذوالحجة/20جوان  -7رجب/3جانفي  -15شعبان/10فيفري  -10رمضان/8مارس | 29  (/)  08  19 | ابن مصطفى رايس  ؟  محمد علي باشا  مصطفى رايس | ؟  ؟  ؟  ؟ | الإسكندرية  ؟  ؟  ؟ |
| **المجموع** | **56** | **/** | **/** | **/** |

نلاحظ أن معظم المتطوعين كانوا من أزمير، وأن أكبر عدد منهم كان في السنوات (1825-1826-1827م) ، غير أن العدد تراجع بعد ذلك، ويرجع ذلك ربما إلى الحصار الذي فرض من طرف فرنسا على الجزائر، إلا أنه رغم ذلك فعملية التجنيد لم تتوقف نهائيا؛ ويحتمل أيضا ضعف الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة، والمشاكل التي كانت تعانيها، منها فساد نظام الانكشارية، الأمر الذي نجم عنه ما عرف بالواقعة الخيرية 1826م.

وربما أصبحوا لا يجدون ما يغريهم في هذه المناصب، وفي هذا يقول القنصل الأمريكي وليام شالر: "...الواقع أن الحياة المفروضة على الانكشاري حياة مملة وتبعث على الضيق، ومن ثم، فإن كثيرا ممن لا يرتبطون بعلاقات الزواج في البلد، وليس لديهم وظائف تدر عليهم المال يهربون من هذه الحياة متى استطاعوا ذلك...".

وإدراكا من الداي حسين لتزايد أعدائه بالداخل والخارج، عزم على إعداد جيش نظامي أساسه جنود زواوة، فاستشار الديوان حول المشروع مبينا لهم أهمية ذلك، فطلب من قبائل بلاد زواوة أن يبعثوا بأولادهم ليسجلوا في دفاتر الجيش النظامي(أي يصبح لهم دخل قار...الخ).

كلف الداي رجال من أغوات الترك، وأمرهم بتسجيل جنود زواوة في دفتر الجند، وقد بلغ عدد المجندين حوالي ألفين رجل، الأمر الذي أغضب الجنود الأتراك فأصبحوا يرون في الجند الجديد منافسا لهم: وفي هذا يقول الزهار: "... فأمره الباشا في كتابتهم في دفتر العسكر، فكتب منهم نحو المايتين وهو حاضر... فلما غاب عنهم ضرب الخوجة الأرض بالقلم الذي بيده، ودعا بالتركية الله مستحق وارسن، وذلك من شدة غيضه على كتابة أولاد العرب. وبلغ خبره للأمير. وكان عليه أن يعاقبه في نفس الوقت، لكنه سكت وصبر..."؛ ربما خوفا من الفتنة، أو من تمرد الانكشارية ضده؟.

يمكن القول أنه لو نجح الداي في تجسيد هذا المشروع، لوقف هؤلاء إلى جانبه، واستطاع بناء جيش قوي من السكان الأهالي يمكنه من صد العدوان.

هذا عن الجيش البري، فما ذا عن البحرية في عهد الداي حسين؟.

قدرت قوة الأسطول الجزائري سنة 1825م، بأربعة عشر سفينة مجهزة بـ 366 مدفعا منها 3 بارجة، وحرقتان(طراد)، وسفينتين ذات ثلاث صواري، و5 سكونة ذات صاريتين،وبولاكر واحد(مربعة الأشرعة)، وأكسيبكس واحد، وبالإضافة إلى هذه السفن توجد في طريق الصنع ثلاث سكونات، وخمسة وثلاثون زورقا حربيا من الحجم العادي.

والأرجح أنه تم الانتهاء من صنع سكونتين لأن الأستاذ سعيدوني يقول: "... عام 1827م، أصبح عدد السفن العاملة في الأسطول الجزائري 16 سفينة مسلحة بـ 398 مدفعا..."

**ثانيا- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:**

**1- الأوضاع الاقتصادية:**

ما لبثت أوضاع الجزائر السياسة، والاجتماعية والاقتصادية، أن تعرف تحسن أثناء القرنيين السادس عشر، والنصف الأول من القرن السابع عشر، ثم سرعان ما دخلت البلاد مرحلة من الركود، لتبلغ درجة من التقهقر والانكماش في معظم المجالات، ولا سيما الاقتصادية منها، متأثرة بالأوضاع الداخلية، والخارجية للبلاد.

عانت الزراعة من قسوة الطبيعة كالجفاف، والجراد، وانتشار الأوبئة...الخ، و ضعف وسائل الإنتاج التي لم تسع السلطة لتطويرها، رغم هذه الظروف، فقد حظي القطاع الزراعي بالتنوع من حيث المحاصيل، حيث كانت الجزائر تصدر كميات من الحبوب إلى الخارج كالقمح والشعير، فالقمح الصلب ذو النوعية الرفيعة، عرف رواجا كبيرا في أسواق أوربا، وبعض المنتجات الأخرى كالخضر، الصوف، الزيت، والجلود...الخ، كما توفرت الإيالة، وعلى طول ساحلها على ترسانات مجهزة لصناعة السفن، والقوارب، وكذا صناعـة الأسلحة، كالبنـادق، وسبـك الـمـدافع وتحضيـر البارود.

أما عن النشاط التجاري، فقد احتكرت طائفة اليهود التجارة الداخلية، وعلى الرغم من توافر المنتجات الزراعية، كالحبوب والصوف، والمرجان،...الخ، كانت فرنسا تحتكر استراد الصوف والجلود، والقمح، أمـا عن واردات الجزائر، فقد تمثلت في العطور، والمصبرات من فرنسا، والزليج من إيطاليا، وغيرها.

**2- الأوضاع الاجتماعية:**

بسبب التطاحن من أجل المحافظة على السلطة، اتسم الوضع الاجتماعي في أيالة الجزائر بكثير من العنف في مواجهة الواقع بكافة أشكاله، وقد ساهمت في حدته الأحوال الاقتصادية المضطربة، التي عانت من آثار الجفاف، وضعف التجارة والصناعة، مما نتج عنه انهيار نقدي لقيمة العملة، التي تنوعت بتنوع حكام الجزائر، وهذا ما جعل الأيالة أمام صعوبات جمة، بانتشار الوباء والجوع، والغلاء، أثّر على التماسك الاجتماعي.

إن تراكم هذه الظواهر، في عصر استفحلت فيه أحداثه السياسية، عانت من جرائها الجزائر الأمرين، فقد تسبب الجراد والجفاف في مجاعات أدت إلى هلاك الكثير من الناس، ومن أهم المجاعات التي عرفتها البلاد: مجاعة 1579، وعام 1580، ومجاعة 1752، والتي دامت أربع سنوات، كما نذكر مجاعات 1778، و1779، ومجاعة 1789.

اشتدت وطأة المجاعات في الفترة الأخيرة من القرن الثامن عشر، والربع الأول من القرن التاسع عشر، فقد عرفت أيالة الجزائر مجاعة على عهد الداي مصطفى باشا(1798- 1805)، اضطر هذا الأخير إلى استراد كمية من الحبوب لتغطية احتياج المدينة، ووقعت مجاعة شديد في الشرق الجزائري (بايلك الشرق) ، من مجاعات هذه الفترة أيضا، مجاعة عام 1806، و1807، ومجاعة عام 1816، حيث سبق هذه المجاعة الأخيرة، اجتياح الجراد سنة 1815، أين قضى على كل بساتين المدينة وفحوصها، وكذا البليدة والقليعة، حيث أفسد أغلب المزروعات، وقد أدى هذا الوضع إلى إصابة الحيوانات بالوباء، وانعدام المزروعات حتى كادت الضرائب العينية تنعدم في تلك السنة، لقد عرف هذا العام (1815) بعام الشؤم، لأنه عرفت فيه البلاد كوارث طبيعية وبشرية، وكان الزحف للجراد، هـو الـسبب المبـاشر فـي مجاعـة 1816، والعـامـل الـرئيسي لـوباء 1817.

هذه الأمراض والأوبئة لم تجد حلولا، لعدم اعتناء حكام أيالة الجزائر بصحة السكان عامة، فلم يشجعوا تعليم الطب، وأهملوا بناء المستشفيات، فتركوا السكان يلجئون إلى المداواة بالطرق التقليدية، فعدم العناية بالحالة الصحية تسبب في ظهور مرض الطاعون من حين للآخر، كما أهملت اتخاذ الإجراءات الوقائية ضد دخول الأوبئة إلى البلاد، بمنع دخول السفن والأشخاص الحاملين لها، فتطبق عليهم نظام الحجز الطبي المعروف بالكرنتينة.

أمام هذا الإهمال، ولا المبالاة من طرف الحكام، وأمام فرض ضرائب متنوعة من طرف البايات لضمان مناصبهم، وأمام العجز المالي لخزينة الدولة، نتيجة تراجع موارد الجهاد البحري، أصبحت الضرائب تجمع دون مراعاة أية سياسة، أو قانون، فكانت السلطة سوطا ضاربا، على المواطن البسيط الذي لا حول، ولا قوة له، فلم يجد هذا الأخير سوى الانفجار، والقيام بحركات معادية ضد سلطة الحكم، مبررا بذلك عصيانه، فما زادت هذه الأعمال سوى تفاقم الوضع، وضعف للأيالة.

عرف القرن التاسع عشر، أكبر وأخطر ثورة شهدها العثمانيين منذ مجيئهم إلى الجزائر، ألا وهي الثورة التي قادتها الطريقة الدرقاوية عام (1219هـ/1804م)، فلم يتمكن الأتراك من القضاء عليها بسهولة، رغم ما سخّر لذلك من إمكانيات، ووسائل؛ وترجع الأسباب إلى انتشارها الجغرافي الواسع، وإلى تجند القبائل ضد السلطة الحاكمة في الجزائر، حيث شملت الثورة المنطقتين الشرقية، والغربية في الوقت ذاته، ولم ينتهي القتال بين الطرفين، إلا باختفاء ابن الشريف الدرقاوي سنة 1813م.

في ظل التنافس الإنجليزي- الفرنسي على اكتساب مناطق النفوذ في إيالة الجزائر، اندلعت ثورة ابن الأحرش بشمال قسنطينة، متزامنة مع نظيرتها بالغرب، استغل ابن الأحرش عدم وجود الباي عثمان، ومن ثم هاجم المدينة، فكان أول اصطدام بين ابن الأحرش، والجيش التركي في ربيع 1804م، وجد الجيش التركي صعوبة في المقاومة فانسحب إلى المدينة، لما عاد الباي عثمان جهز جيشا، وسار به إلى واد الزهور، أين يحتمل أن يكون ابن الأحرش معسكر هناك، إلا أن هذا الأخير، وبفضل حنكته، دبر للباي حيلة أوقعه فيها، فحوصر الباي وجيشه، فقتل عدد منهم، كما لقي الباي حتفه.

غضب الداي كثيرا لوفاة الباي، وقرر أن يخرج بنفسه لملاقاة ابن الأحرش، إلا أن حاشيته رفضت ذلك، فأرسل علي أغا، ليرافق الباي الجديد عبد الله خوجة، فلتقيا بابن الأحرش في ميلة، فقتلا له عدد من رجاله، وضيق عليه البلاد فتخلى عنه السكان، لم تتوقف هذه الفوضى، والاضطرابات في بايلك الغرب والشرق، بل تعدتها إلى بايك التيطري، حيث ثارت قبائل، ضد سلطة الأتراك طالبين منهم الرحيل، غير أن قائد قبيلة أولاد مختار حليف الأتراك نكل بهم، كما رفض أولاد نايل دفع الضريبة، إلا أن الباي شن حملة عسكرية ضدهم.